

المؤهلات التاريخية لانخراط المؤسسة الدينية الجزائرية
**Historical qualifications for the involvement of the
Algerian religious establishment**

محمد بغداد

Mohamed Baghdad

الإسلامي الأعلى المجلس

baghdadh@yahoo.fr

10.53283/2157-006-001-007

تاريخ النشر: 2024/06/30

تاريخ القبول: 2024/04/03

تاريخ الاستلام: 2024/03/25

ملخص: ينتبه المتابع للحركة الاجتماعية والثقافية زيادة حضور المؤسسة الدينية في المجتمع، وهي الزيادة التي تتناسب مع مستويات تفاعل فئات اجتماعية ذات ثقل تأثيري في مسار الحركة الاجتماعية، وهو الحضور الذي يستدعي مواجهة واعية لمجموعة من الأسئلة الزاحفة، التي تطرح حيرة وقلق من مدى توقع تأثير هذا الامتداد على طبيعة المجتمع القادم، وهو الزحف الذي تواجهه مجموعة من المواقف الايديولوجية المخدرة من تداعيات غير مريحة لهذا الحضور.

كلمات مفتاحية: المؤهلات – الجزائرية – المؤسسة – المجتمع – الايديولوجية

Abstract:

Those who follow the social and cultural movement pay attention to the increase in the presence of the religious institution in society, which is an increase that is proportional to the levels of interaction of social groups that have a significant influence on the course of the social movement. It is this presence that calls for a conscious confrontation of a group of creeping questions, which raise confusion and anxiety about the extent of the expected impact of this expansion. On the nature of the coming society, which is the encroachment faced by a group of ideological positions warning of the uncomfortable repercussions of this presence.

Keywords: Qualifications - Algerian - institution - society – ideology.

يكون من المفيد أن تستفيد الأمة في الظروف الحالية من الإمكانيات الكامنة والمتوقعة في المؤسسة الدينية (بكل مكوناتها ومؤسساتها وتياراتها) التي تكمن مهمتها الأساسية في توفير الحاجات الضرورية المستعجلة المنتظرة حتى يمكن تحقيق الأهداف المتطلع إليها، وذلك بالانخراط الإيجابي للمؤسسة الدينية في الشأن العام، () وتحمل مسؤولية الهم الجمعي من خلال المساهمة النوعية في تجويد القدرات الوطنية، والتي يمكن أن يفتح النقاش حول محاورها الكبرى.

التوبة من غفلة الصالحين

يقف المتابع لمشهدية سلوك المؤسسة الدينية عندنا في موقف (الحائر) سواء كان من أولئك المطلعين على كواليس هذه المؤسسة أو من أولئك المتابعين لسلوكياتها في الفضاء العام، الذي سرعان ما يجد نفسه أمام حالة الغياب السلبي والغفلة الواسعة التي تورطت فيها هذه المؤسسة، والأهم من ذلك أن هذه الغفلة من ذلك النوع الذي يسمى في الأدبيات المتوارثة (بغفلة الصالحين) () التي تجعل من المؤسسة تهدر الفرص وتسرف في السناجات وتبذر الجهد والطاقة فيما يلحق بها وبالمجتمع الكثير من الخسائر التي لا يتصورها عاقل ولا يتحملها قادر، فهي المؤسسة الأولى في المجتمع انتشارا وأكثرها تواجدا وأكبرها امتلاكاً لأدوات التواصل وأساليب التأثير وأعماقها جاذبية، () ولكنها وضعت نفسها في موقع الغافل المبتعد، والمتجاهل التناسي لواجباتها الشرعية وفرائضها الاجتماعية وأدوارها التاريخية، في الوقت الذي تمنح بسلوكها هذا الفرصة للردائل بمختلف أنواعها أن تبسط سلطتها وتهلك الأمة بشروها .

2- الميزاجية الشاردة والشخصنة النازقة:

من أخطر ما تعانيه المؤسسة الدينية في هذا الزمن ويكاد يكون عنوانها الأبرز الذي يتم تسويقه على أوسع نطاق ما يعرف بسلوكات الشخصية النازقة المتحركة بالمزاجية الشاردة التي لا تمتلك معايير تقدير المواقف، () فتتحرك بشهوة العواطف وتقلب المصالح ويتحكم فيها قصر النظر وعدم ادراك عواقب الأمور، فتتخيل أنها تحسن صنعا وهي تلحق بالأمة الجسيم من الخسائر، خاصة وأن تأثيرها له من المساحات الواسعة مستغلة تعفف الشرفاء وانحصار العقلاء وابتعاد الصالحين عن المشهد الكلي، مما يجعل الرأي العام يتصور في زحمة الأحداث وضغط التطورات أنه يستهلك النافع ويتآلف مع الطبيعي ولكن سرعان ما يتحول ذلك الاستهلاك إلى معظلة حقيقية يكون من الصعب والمكلف التخلص من تداعياته المؤلمة والتي تكون في الغالب مزعجة، وهو ما يعرف في الأدبيات الشرعية بزم (الروبيضة) () الذي لا

تشير دلالاته إلى الشخصنة بذاتها بل ينطلي على نوعية السلوك الممارس في تفاصيل الحياة، وهو يحمل المسؤولية إلى شرفاء الأمة وصلحاؤها عندما يغرقون وهما في الانحصار المذموم والتعفف السليبي .

إحياء سنة (وذكرهم بأيام الله):

من أوجب الواجبات التي تنتظر المؤسسة الدينية اليوم أن يسارع أهلها إلى منح الناس ذلك البلسم الذي يعطي لحياهم الطاقة الايجابية ويجعلهم يسبغون في المستوى المرغوب عبر الانتباه لتلك الطاقة التي تحتضنها الأيام وما فيها من مناسبات وما تحتويه من معاني ومشاعر ولطائف قادرة أن تزيح عن الناس الكمد وترفع عنهم اليأس وتخفف ما يتراكم في طريقهم من المنغصات، سواء كانت تلك الأيام ذات صلة بتاريخ الأمة وأمجادها المنحزة بأقل الإمكانيات أو الأيام التي كانت نتيجة جهد جماعي، تكلل بانتصار يحسب للجماعة، ويؤكد جمالية التعاون والتكاتف، وأن الجماعة قادرة على إعادة إنتاجه في كل وقت وظرف، () وهو ما يمكنه أن يطهر النفوس مما علق بها من الأدران، وأن تكون المؤسسة الدينية الحاضر المؤثر والمزاحم الأوفى في هذه المناسبات.

واجب صناعة المعنى:

إن المتفق عليه عبر القرون والأجيال، أن المؤسسة الدينية مهمتها الأولى ()، هي صناعة المعنى الحقيقي للحياة في مختلف أبعادها وتسويق ذلك المعنى المنسجم مع الهدف الأساسي لوجود الناس، وهو المعنى الذي يجهد الناس أنفسهم ويذلون ما يملكون من أجل الحصول عليه، فتكون المؤسسة الدينية المسارعة إلى إنتاج معنى الحياة الذي يحقق سعادة الناس ويجعلهم يحققون أهداف العيش، وهي المهمة التي حرصت المؤسسة الدينية عندنا أن تسبق الآخرين في القيام بواجباته، كونه من المقاصد الشرعية الكبرى وإفراغ الوسع في توفيره للناس، دون الاحتجاج بالظروف ولا تبرير التقصير أو التوازي كما يحصل اليوم، () أو حرمان المؤسسة الدينية من وسائل وأدوات صناعة المعنى، الذي يتم التنازل عنه دون أن يتم الإدراك بأن ذلك التخلي هو ما يفقد المؤسسة الدينية من شرعية وجودها ويحرمها من مبررات مكانتها .

استعذاب لعنة (فتناول عليهم العمر):

يفترض أن يكون دور المؤسسة الدينية كما هو عهدا في السابق من الزمن، وما توارثته الأذهان وصفحات الكتب أن تسارع هذه المؤسسة إلى مد يد العون للمجتمع في المسرات ولحظة اليسر والرخاء قبل أيام العسر وساعات الضيق، وهو ما جعل الأعناق تشرب إليها في العصور الأخيرة، فطال انتظار الناس لمنتوجاتها، ولكن المؤسسة الدينية لم تستوعب اللحظة التاريخية راحت تستعذب تطاول العمر

ونسيان الواجب والبقاء في كهوف السلبية والاستعلاء المزيف، وتورطت في مغامرات الابتعاد عن حقيقة الواقع، وتجلبت بالتعفف بالمزيف وقرب إليها المنافع الشخصية والمآرب الفردية، وأوهمت نفسها أنها غير معنية بالشأن العام، وأنها كغيرها من المؤسسات المطلوب منها أن تكون مساهمة في السير الجمعي دون أن تدرك الأمانة التي هي مستأمنة عليها من رب العالمين، () فخفت مددها الروحي وضر فيها الدافع الأخلاقي وتقلص عنها إنتاج الخير وصناعته .

فعالية المؤسسة وسلبية الهياكل

جرى في عرف المنخرطين في صفوف المؤسسة الدينية عندنا الركون إلى التشدق بالعناوين البراقة في مجارات غير حاذقة للغة العصر فيتصورون أن مجرد إطلاق الأسماء والعناوين على ما يدورون في فلكها كافي للقيام بالواجب الشرعي وأداء المهام الموكلة لهم بمقتضيات النصوص القطعية، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك تماما فإن لم يورث معاصي كبيرة وذنوبا غائرة فإنه أورث سلبية مؤلمة وسوق صورة بشعة عن المؤسسة الدينية، تلك الصورة التي تتوسع بشاعتها يوما في أذهان الناس، فأصبحت المؤسسة عنوانها غرق أهلها في أو حال الهياكل وتجاهلوا ديناميكية المؤسسة، فاستعذبوا البيروقراطية التقليدية وتكبلوا بسلاسل الجمود، وحاصروا أنفسهم بالرتب الإدارية وجعلوا بينهم وبين الناس من الحواجز ما يجعل النفوس تنفر من مجرد التفكير في الاقتراب من المؤسسة الدينية. ()

جاذبية الاقناع وشحنات التعبئة:

لقد ربطت المؤسسة الدينية عندنا نفسها بدلالة حديث البخاري القائل (إنما الناس كالإبل المائنة، لا تكاد تجد فيها راحلة) فكانت الرحلة التي يستعين بها المجتمع (أفرادا . فئات . كيانات) في بلوغ المقاصد وتحقيق المرمي وإنجاز المهام وتهذئة النفوس ومواجهة الأزمات، في المؤسسة الخادمة للمجتمع التي تنصدر الصفوف وتسبق الآخرين عندنا كل أزمة وتنافس البقية في إسعاد الناس وصناعة الخير، ولا تستثنى المجالات ولا الأفراد والجماعات، لقد كانت المؤسسة الدينية ملاذ المجتمع والملي لحاجاته والموفر لمتطلباته، وهي الطبيعة التي بدأت ملامحها تتوارى وجهودها تحتفي وإقدامها يتأخر وإشعاعها يخبت، عندما استبدلت الراحلة بغيرها وحولت المقصود من الحديث، وربما لا تذكر حديث البخاري وتصم آذانها عن روائع المعاني التي اقتبسها شراح الحديث عبر القرون التي كلما تطاولت إلا وزادت روعة معانيه في الانبجاس.

سنة (إنهم فتية آمنوا):

من أهم من تعرف به المؤسسة الدينية عندنا وتصر على ممارستها تلك القطيعة البغيضة مع الأجيال القادمة من المستقبل، فهي إما تجحد طاقتها وتسارع إلى حرمانها من حقها الطبيعي والتاريخي، وقبل ذلك الشرعي من المساهمة في صناعة الخير، والغريب أنها تناكف أبين الخطاب في شجاعته وبراعة في انحيازه للجيل الجديد وتعارض ابن حجر في فهمه السابق لعصره عندما أطال التوقف في شرح قرارات ابن الخطاب وإصراره على شرح الأهداف الاستراتيجية والمرامي المستقبلية لابن الخطاب في فتح الآفاق أمام الأمة، بتبنيها للطاقة المهمة التي يمكن استثمارها والكامنة في الأجيال الجديدة، () التي تبدل المؤسسة الدينية عندنا الجهود من أجل بناء الحواجز العاتية وإشاعة تنفيرها من حاضرتها وحرمان الأمة من خيراتها .

الجمالية المفقودة (صبرا وصفحا وهجرا):

لقد ارتبطت المؤسسة الدينية عندنا بعنوان (الجمالية) وتعمق ذلك المعنى في مختلف العصور وتجاوزته إلى تفاصيل الحياة اليومية والسلوكات الاجتماعية، مما جعل المؤسسة الدينية عنوان لكل جميل من الأفعال والأقوال والمواقف، فعبرت به الآفاق وأنجزت به المهمات وواجهت به المحن وواجهت به الأزمات وانتشلت به فئات غير قليلة من الورطات، فصبرت صبرا جميلا على المحن بفهمها العميق وإدراكها المتبصر، فحولتها من محن إلى منح نافعة استفادة منها الأمة، وصفحت صفحا جميلا على كل الإساءات ليست التي لحقت بها، وإنما تلك التي لحقت بالأمة في مجملها، () فقلبت المعادلة من الإساءات الفردية والجماعية وعلمت الأمة كيف تصنع الجميل من القيم والمعاني والايجابي من الحقائق، وهجرت هجرا جميلا، هجرت العجز والفشل والسلبية والانتظارية .

طاقة رهان الثقة ومنافعهم:

أدرك هذا المجتمع روائع دعاء الخليفة عمر ابن الخطاب (اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة)، وهو الوضع الذي كان يزعج الأجيال التي توارثت مسؤولية قيادة المؤسسة الدينية فسرعان ما تجدهم يفتشون في أوقات الزمن وجنابات المجتمع عن تلك الثغرات فيسدونها بالثقة الأكفاء الذين يكونون على ذلك المستوى من إغاثة الأمة وحمايتها من كل شر ويخففون عنها من الألم ويفتحون لها من الآفاق من يجعل الأمل أمامها فسيحا، وهي السنة التي اتسمت بها المؤسسة الدينية واصطبغت صورتها في الأذهان عندنا بكونها عنوان للثقة الذين يصلحون الأوضاع البائسة الطارئة وينشرون الخير العذب المنتظر ويبيشرون

اسم المؤلف: محمد بغداد

عنوان المقال: المؤهلات التاريخية لانخراط المؤسسة الدينية الجزائرية

بجمالية المستقبل المتطلع إليه، وهي المؤسسة التي تلتزم بأن من يؤم الناس في الصلاة (قال رسول صلى الله عليه وسلم: " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة") (وصناعة الخير لا تفارق عبادة الصلاة باقتران العلة.

المراجع:

1. جان فرنسوا دورتيه معجم العلوم الإنسانية (ط.1). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، بيروت - لبنان
2. روبرت ب. سيالديني التأثير: علم نفس الإقناع - العبيكان للنشر 2010
3. محيي الدين علي . الأبناء والأنماط الشخصية . الدار العربية للعلوم ناشرون .
4. رضوان السيد . مفهوم الجماعة . الأمة والجماعة والسلطة . دار الكتاب العربي . بيروت 207
5. حسن بن موسى الصفار . المؤسسة الدينية، الوظيفة والتحديات . دار القارئ 2018
6. حراس الإيمان المؤسسات الدينية . مركز المسبار . الامارات العربية المتحدة 2014
7. خليل الكبيسي . دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية . دار البشائر الإسلامية . بيروت 2004
8. قطب جمال . المؤسسة في الإسلام : تاريخاً و تأصيلاً . المعهد العالمي للفكر الإسلامي . الولايات المتحدة الأمريكية . 2012
9. موسى العازمي . السيرة العمرية . دار ابن الجوزي بيروت 2004
10. ناصيف نصار . مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت 2003